ساروجيني نايدو

شاعرة الهند وروحها الطائر

في الهند ألوف من النساء كلهنّ باسم « ساروجيني » ، فانه اسم محبب عند الهنود . ولكن في الهند « ساروجيني » واحدة ، هي القيثارة الربانية التي يقف عندها جميع اهل الهند ينصتون إذا ما انطلقت بألحانها الشجية .

ساروجيني نايدو

هذه القيثارة « ساروجيني نايدو » من أسرة برهمية قديمة من شرقي بنغاله . استقرّ المقام بأبيها دكتور « شاتّو بدّهايا » وأمرته في « حيدر اباد » بمقاطعة « الدّكن » ، وهناك ولدت « ساروجيني » في الثالث عشر من شهر فبراير سنة ١٨٧٩ ، وكانت أنها امرأة عالمة عطوف ، فنشأت شاعرة المستقبل في طفولة هادئة سعيدة وسط أسرتها الكبيرة المؤلفة من عدّة اخوة وعدّة أخوات .

كانت « ساروجيني » أوّل نشأتها فتاة لامعة الذهن ذكية الفؤاد نشيطة الحركة ، ولقد لبسها شيطان الشعر وهي في أوليات صباها . فلما كانت في الحادية عشرة من عمرها ، تفتّت بأول أشعارها ، وكأنها كانت تنطق بلغة شاعر عربي حديث إذ يقول :

للحب أول أشعار هتفت بها ... وللجمال بها أولى رسالاتي [1]

---

(١) البيت للشاعر علي محمود طه والبيتان اللذان قبله هما :

حدثت ذاهب أحلامي وليلاتي ... فهل لديك حديث عن صباباتي

وكنية لخيالاتي وصومعة ... رتلت في ظلها للحسن آياتي

للحب أول أشعار هتفت بها ... وللجمال بها أولى رسالاتي

وبدأت في الثالثة عشرة تنسج قصيدة مطولة على غرار قصيدة سير « ووالتر سكوت » : سيدة البحيرة : "Lady of the Lake" ، وأخذت تكتب « مأساة » قصيرة : وسافرت الى انجلترا في سنة ١٨٩٥، ودرست في كلية « كنجس » بلندن، وفي كلية « غرتون » بكمبردج ولكن سوء صحتها حملها على القفول ثانية الى الهند بعد ثلاث سنوات .

***

ابتعدت « ساروجيني » عن ان تطرق الموضوعات « الغربية » ، والطوت على الهند تستلهمها الوحي وتستمد منها مادة انتواني . فأخذت تكتب عن أسواق الهند وعن أعيادها وعن مناظر أرضها الأولى وخلجات نفسها تتجه نحو كل ما هو هندي ، فصاغت في لغة أهل التاميز مجموعة من الأشعار فيها كل نبضات الشرق الحزينة المتوثبة نحو الكمال ، خلقت بها تلك الأنغام الشجية الى متناوات أنصت سماء الغرب كله . أما الجمال الذي تخلعه أشعارها على مجالي الهند، فمن الأسباب الأولى التي طيرت اسمها في آفاق الخلود .

وظهر للشاعرة ثلاثة كتب : الأول « العتبة الذهبية » : The Golden Threshold ، والثاني « طائر الزمان » : The Bird of Time ، والثالث : « الجناح الكسير » : The Broken Wing

***

في سنة ١٨٩٨ تزوجت « ساروجيني » من دكتور « نايدو » من نابهي أهل « حيدر اباد » فاستولدها أربعة أولاد قالت فيهم قصيدتها المشهورة « الى أولادي » : To my Children ، فوصفت ابنها الأول « جايا سوريا » بأنه سوف يكون « شمس الاغنيات والحرية » . وقالت في ابنتها « بادميا » — « أنها عذراء تفيض بالطعوم الحلوة ، بريئة كزهرة النيلوفر » . ووصفت ابنها « رانادهيرا » — بأنه « ربُّ المعارك » ، وتمنت لو أنه يجاهد جهاد بطل منوار في معركة الحياة . أما ابنتها « ليلاماني » فهي عندها — « دُرَّة المرح » وتمنت لو أنها تظل ما عاشت « محرّرة من الحزن واثقة بالغبطة » .

***

أما بيتها في حيدر اباد فسمته « العتبة الذهبية » بعنوان قصيدتها التي أشرنا اليها آنفاً

وفيه ماتت عيداً هندياً رغداً ، وحيت حياة منتجة خصبة ، ومن جهاته قادت الحياة الاجتماعية والثقافية في تلك المدينة الصاخبة .

***

وفي سنة ١٩٢٠ اقتحمت « ساروجيني » ميدان السياسة القومية ، ورأست « مؤتمر الهند الغربي » ، وأصبحت الساعد الأيمن لمهاتما « غاندي » ، وكانت في طليعة الحركة النسائية فرأست « مؤتمر النساء الهندي » .

وفي سنة ١٩٣١ هبطت انجلترا مع مهاتما « غاندي » عضواً في مؤتمر « المائدة المستديرة » . ذلك بأن فيها من صفات الجد والعقل ورزانة النفس ما أهلها لأن تكون من الزعيمات المبرزات في ميادين الحياة العليا .

وبالرغم من أنها كرست حياتها لمشكلات بلادها القومية ، وصرفت في سبيلها كل ما وهبتها الطبيعة من قوة ، فانها الى جانب هذا كبيرة الاهتمام بالمثاليات الانسانية ، مثاليات الدولية العالمية ، القائمة على تعاطف الشعوب وتبادل المنافع واحترام الحقوق العامة للبشر أجمعين .

***

وهي فوق ذلك تتصف بالمرح وسعة الأفق ، فتقول : « إن أعظم ما وهبتني الحياة من الهبات ، أو بالحري ما وهبني مزاجي منها ، هو الضحك ، وليس عندي في الدنيا ما يساويه قيمة » . كذلك هي بروحها ومزاجها هذا من المتحمسات الاوائي يشعرن في جوهرهن الاقدام ويبعثن قوة الخيال والوحي فتتقد وتزكو ، فلا تخبو .

***

إن « ساروجيني نايدو » هي « سحبان »[1] الهند ، وكروانها الفريد . هي خطيبة في مستطاعها أن تحمل سامعيها على جناحيها وتطير بهم في آفاق مديدة خصبة ، إذ تأخذهم بلاغتها ، وتختلبهم بفصاحتها وانسياق معانيها وأناقة عباراتها وخيالها الشعري وصدقها الهادىء الرصين .

(١) خطيب جاهلي يقال انه أخطب العرب

ان روح هذه الشاعرة الشرقية العظيمة قد انعكست جيداً في شعرها ، وحياتها الغالية الثمينة تمثلت جيداً فيه . وننقل هنا مثلاً من شعرها تهب فيه نوافح القوة والبقاء على وطنها ، فترثيه ، ولكنها في الوقت نفسه تستمديه على الزمن وعلى الأقدار .

To India

" O young through all thy immemorial years !

" Rise, Mother, rise, regenerate from thy gloom,

" And, like a bride high-mated with the spheres,

" Beget new glories from thine ageless womb !

* * *

" The nations that in fettered darkness weep

" Crave thee to lead them where great mornings brake...

" Mother, O mother, wherefore dost thou sleep ?

" Arise and answer for thy children's sake !

* * *

" Thy Future calls thee with a manifold sound

" To crescent honours, splendours, victories vast ;

" Waken, O slumbering Mother, and be crowned,

" Who once wert empress of the sovereign Past.

* * *

هذه الروح لا يدركها الا شاعر ، وحرام أن ينقلها الى العربية غير شاعر ، نثراً أو شعراً .